الأستاذة كتفي خيـرة
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية
قسم علم الاجتماع
التخصص: انثروبولوجيا

المداخلة: الطقوس والمناسبات الدينية كإعادة إنتاج للهوية الجماعية في الجزائر: دراسة أنثروبولوجية للمولد النبوي في ميلة

ملخص المداخلة:

تعتبر الطقوس والمناسبات الدينية في الجزائر، مثل إحياء المولد النبوي الشريف، جزءًا أساسيًا من عملية إعادة إنتاج الهوية الجماعية. من خلال دراسة أنثروبولوجية ميدانية لاحتفالات المولد النبوي في ولاية ميلة، يظهر دور الزوايا الدينية كأماكن لإعادة إنتاج رأس المال الروحي والرمزي. الزاوية الحملاوية في ميلة تُعتبر نموذجًا حيويًا لهذا التفاعل، حيث تساهم في نقل القيم الدينية وتعزيز الهوية الجماعية عبر الأجيال. في هذه المداخلة، سيتم تحليل دور هذه الطقوس في إعادة إنتاج الهوية الثقافية والدينية من خلال الطقوس والممارسات، مشيرًا إلى تفاعلات الأفراد، وخصوصًا النساء والأطفال، مع هذه الاحتفالات وأثرها في حياتهم الاجتماعية والدينية.

المحور الأول: الطقوس الدينية وإعادة إنتاج الهوية الجماعية

الطقوس الدينية في الجزائر تُعد أداة قوية لإعادة إنتاج الهوية الجماعية، حيث لا تقتصر على كونها ممارسات عبادية فحسب، بل تتسع لتشمل جوانب اجتماعية وثقافية. في ولاية ميلة، تعتبر احتفالات المولد النبوي مثالًا ساطعًا على هذه الطقوس التي تُسهم في تعزيز الهوية الدينية والاجتماعية.

الطقوس كأداة لإعادة الإنتاج الاجتماعي والثقافي:

في إطار نظرية بورديو حول إعادة الإنتاج، تعتبر الطقوس جزءًا من عملية الحفاظ على القيم الاجتماعية والثقافية. ومن خلال إحياء المولد النبوي، يتم نقل الموروث الديني والجماعي عبر الأجيال. حيث يظهر هذا في تنظيم النشاطات الجماعية كالمدايح النبوية وحلقات الذكر، التي تقام في الزوايا وتنظم في الأحياء.

الزاوية الحملاوية:

الزاوية الحملاوية في ميلة هي مثال حي على هذا الدور الثقافي والديني الذي تلعبه الزوايا. إذ تقوم الزاوية بتفعيل الطقوس الدينية وتوحيد المجتمع من خلال مشاركتهم في الفعاليات المختلفة التي تُنظم بمناسبة المولد النبوي. وعادة ما يُلاحظ تجمع الأفراد بمختلف أعمارهم، حيث يُشجع الجميع على المشاركة في أنشطة جماعية تعزز الروابط الاجتماعية، كالتوزيع الجماعي للطعام والتبرعات للفقراء.

التفاعل الاجتماعي والرمزي في الطقوس:

ليس فقط من خلال العبادات أو الصلاة، بل من خلال التفاعل الاجتماعي في الزاوية، حيث يجد الأفراد فرصة للتواصل مع بعضهم البعض. إحدى النسوة في ميلة شاركت قائلة: "المولد النبوي ليس مجرد ذكرى تاريخية، بل هو لحظة تجمعنا، نحتفل معًا، ونعيد بناء الروابط بين الجيران والأسر. هذه الطقوس هي ما يعزز من وحدتنا."

المحور الثاني: الزوايا كمؤسسات لإعادة إنتاج رأس المال الروحي

تلعب الزوايا، مثل الزاوية الحملاوية في ميلة، دورًا هامًا في إعادة إنتاج رأس المال الروحي والرمزي، من خلال تجميع الأفراد حول ممارسة دينية تهدف إلى الحفاظ على التقاليد ونقل القيم. تمثل الزاوية مركزًا دينيًا واجتماعيًا يعمل على تقوية الهوية الجماعية من خلال الطقوس.

الزاوية كفضاء تعليمي وروحي:

من خلال تنظيم الفعاليات الدينية مثل حلقات الذكر والمدائح النبوية، تساعد الزوايا في نقل القيم الروحية والدينية إلى الأجيال الشابة، مما يعزز من ارتباطهم بالهوية الثقافية والدينية. وتُظهر تصريحات إحدى

النساء في ميلة أهمية هذا الدور: "في الزاوية، تعلمنا كيف نُحيي هذه التقاليد ونمررها إلى أبنائنا، حيث يجتمع الجميع هناك لإعادة التأكيد على مبادئنا الدينية."

الزاوية كمركز اجتماعي ومجتمعي:

لا تقتصر الزوايا على الجانب الروحي فقط، بل هي فضاء اجتماعي حيث يتبادل الأفراد القيم والمساعدات. في الزاوية الحملاوية، يُنظم العديد من الأنشطة التي تشمل مشاركة الأسر الفقيرة والطعام الجماعي، مما يعزز من الروابط بين الأفراد ويدعم التلاحم الاجتماعي. تحدثت إحدى النساء عن هذا بقولها: "نشارك في تحضير الطعام ونقدمه للفقراء، إنها طريقة لنشعر بقيمتنا كجزء من هذا المجتمع المتماسك."

المحور الثالث: الطقوس كإعادة إنتاج للسلطة الرمزية

السلطة الرمزية، كما يوضح بورديو، هي قدرة الأفراد أو الجماعات على فرض نظام من القيم التي يتم تقبلها اجتماعيًا. وفي ميلة، تتجسد هذه السلطة من خلال الطقوس الدينية في الزوايا، حيث تُعد الطقوس أداة لإعادة إنتاج القيم الرمزية التي تساهم في توجيه سلوك الأفراد في المجتمع.

السلطة الرمزية في الزوايا:

الزوايا ليست فقط فضاءات عبادة، بل هي أيضًا وسيلة لإعادة إنتاج السلطة الرمزية من خلال التحكم في الطقوس، مثل اختيار المداحين وتنظيم حلقات الذكر. الزاوية الحملاوية تُظهر هذا الدور بشكل جلي من خلال تنظيمها لهذه الأنشطة التي لا تقتصر على الجانب الروحي، بل تشمل أيضًا النشاطات التي تسهم في توجيه السلوك الاجتماعي.

تعزيز الهوية من خلال السلطة الرمزية:

من خلال تنظيم هذه الطقوس بشكل منتظم، تساهم الزاوية في تعزيز هوية جماعية دينية تجمع الأفراد تحت سقف واحد، مما يعزز تماسك المجتمع. في هذا السياق، قالت إحدى النسوة في ميلة: "الزاوية تقوّي مشاعرنا

الدينية، ونحن نشعر بالفخر عندما نشارك في هذه الطقوس. هذه ليست مجرد مناسبات، بل هي تجديد لهويتنا الروحية."

المحور الرابع: دور "الوزيعة "أو "النفقة "في الطقوس الاجتماعية

تُعتبر "الوزيعة "أو "النفقة "جزءًا أساسيًا من الطقوس الاجتماعية المرتبطة بالاحتفال بالمولد النبوي في العديد من المناطق الجزائرية. هي ممارسة تعبيرية عن التكافل الاجتماعي والمحبة والتضامن بين أفراد المجتمع، وتعد سمة من سمات هذه المناسبات الدينية التي تعزز من الوحدة الاجتماعية والروابط بين الأفراد.

الوزيعة كجزء من إعادة الإنتاج الاجتماعي:

في سياق الاحتفال بالمولد النبوي، يُطلب من الأسر المشاركة في تقديم "الوزيعة"، وهي عادة تتمثل في توزيع الطعام أو المال على الفقراء والمحتاجين. هذه النفقة لا تعد فقط واجبًا دينيًا، بل أيضًا تجسيدًا عمليًا لقيم التضامن والكرم في المجتمع. في ميلة، على سبيل المثال، يتم تنظيم هذه الوزيعة في الزوايا أو في المنازل، حيث تُوزع المؤن بين المحتاجين في جو من الألفة والتعاون.

دور النساء في تنظيم "الوزيعة:"

غالبًا ما تكون النساء هنّ المسؤولات الرئيسيات عن تحضير "الوزيعة"، من خلال تجهيز الطعام وتوزيعه على المحتاجين في المجتمع. إذ يُعد تحضير الطعام وتقديمه للمحتاجين جزءًا من المسؤوليات الاجتماعية والدينية التي تسهم في تعزيز التضامن بين أفراد المجتمع. واحدة من النساء في ميلة قالت: "نقوم بتحضير الطعام كل عام في المناسبة، وتوزيعه على الجيران والمحتاجين. إنها فرصة لنشعر بأننا جزء من هذا المجتمع المتماسك."

أثر "الوزيعة "على التماسك الاجتماعي:

من خلال هذا النوع من التبادل الاجتماعي، تتعزز الروابط الأسرية والمجتمعية، وتُظهر الزوايا دورًا حيويًا في هذا الجانب من الطقوس. تمثل "الوزيعة "أكثر من مجرد إطعام الفقراء؛ فهي أيضًا مناسبة لإعادة إنتاج رأس المال الاجتماعي الذي يُسهم في استمرارية التقاليد الطقوسية ويعزز من العلاقة بين الأفراد.

المحور الخامس: دور الأطفال في الطقوس الاحتفالية

يمثل الأطفال جزءًا أساسيًا في الطقوس الاحتفالية للمولد النبوي، حيث يُعتبرون حاملي شعلة نقل التقاليد إلى الأجيال المقبلة. في ميلة، يعكف الأطفال على المشاركة في الطقوس من خلال ترديد الأهازيج والإنشاد، مرددين كلمات تمدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم. كون في مسابقات حف القران، كما يحملون الشموع في الأيدي ويشتركون فيجلسات الذكر التي تُنظم في بعض الأحيان، ما يعكس كيف تنتقل الطقوس الاحتفالية من جيل إلى جيل. هذه الأنشطة تساهم في تعزيز الهوية الدينية والتماسك الاجتماعي عبر تكرار الممارسات الطقوسية، مما يضمن استمرارية الاحتفالات.

المحور السادس: الجدل حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

في الوقت الذي يُعتبر فيه المولد النبوي مناسبة دينية واجتماعية حافلة بالطقوس والاحتفالات، لا يخلو الموضوع من جدل واسع حول شرعية الاحتفال بهذه المناسبة. هذا الجدل لا يقتصر فقط على المسائل الفقهية بل يمتد ليشمل التباين بين المواقف الدينية والثقافية، وخاصةً في المجتمعات الريفية الجزائرية.

<u>الآراء المؤيدة للاحتفال:</u>

بالنسبة للكثيرين في المجتمع الجزائري، يشكل الاحتفال بالمولد النبوي مناسبة دينية مهمة يتم خلالها إظهار محبة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتعظيم مكانته في قلوب المسلمين. في ميلة، على سبيل المثال، تُعتبر هذه الاحتفالات فرصة للتركيز على نشر قيم المحبة والتسامح، ويشارك فيها الجميع دون استثناء. ومن بين التصريحات التي أُخذت من بعض النساء في المنطقة، قالت إحدى السيدات: "نحن نحتفل بالمولد لأنه يوم مبارك، ونحن نؤمن بأن محبة النبي تأتي من إحياء هذه المناسبة بكل تفاصيلها."

الآراء المعارضة للاحتفال:

في الجهة الأخرى، يظهر تيار من المعارضين للاحتفال بالمولد النبوي على اعتبار أنه بدعة من الناحية الدينية. يرى البعض أن الاحتفال بالمولد ليس من السنة النبوية وأنه من الابتكارات التي تتناقض مع تعاليم الإسلام. هؤلاء يعبرون عن قلقهم من تحول الاحتفال إلى مناسبة ذات طابع مادي ودنيوي أكثر من كونه حدثًا روحانيًا. في ميلة، هناك من يردد: "المولد النبوي يجب أن يكون ذكرى صادقة ومجردة من أي طقوس مبتكرة، فالنبي لم يوصِ بذلك."

التأثيرات الاجتماعية للجدل حول الاحتفال:

الجدل حول شرعية الاحتفال بالمولد النبوي يعكس في جوهره الانقسام الثقافي والديني الذي قد يظهر في المجتمع. هذا الجدل قد يؤدي إلى اختلافات في الممارسات اليومية بين أفراد المجتمع، حيث يتخذ البعض موقفًا من الاحتفال بينما يُصر آخرون على تمسكهم به كجزء من تراثهم الثقافي والديني. هذا النوع من الاختلاف يساهم في خلق ديناميكيات جديدة بين الأفراد داخل نفس المجتمع، بين مؤيد ومعارض، مع تأثيرات ملموسة على طريقة إحياء المناسبات الدينية بشكل عام.

خاتمة:

إحياء المولد النبوي في ميلة، كما في مناطق أخرى من الجزائر، يعد أكثر من مجرد طقوس دينية تقليدية؛ إنه جزء أساسي من عملية إعادة إنتاج الهوية الجماعية التي تدمج عناصر من الدين والعادات الاجتماعية والثقافية. من خلال الطقوس التي تشمل الأهازيج، المدائح النبوية، توزيع "الوزيعة"، ودور النساء والأطفال في نقل هذه الطقوس عبر الأجيال، تظل هذه المناسبة وسيلة لتوثيق الروابط الاجتماعية وتعزيز التماسك الجماعي.

وفي الوقت نفسه، يعكس الجدل حول شرعية الاحتفال حالة من التباين الفكري والديني الذي يسود بعض المجتمعات الإسلامية، مما يُبرز الصراع بين التراث والعصر، وبين التقليد الديني وضرورات التحديث. في

النهاية، تبقى الاحتفالات بالمولد النبوي وسيلة مرنة لإعادة إنتاج الهويات الثقافية والدينية في مجتمعات متعددة الاتجاهات، مع الحفاظ على الأبعاد الاجتماعية والدينية التي ترتبط بها.